أدلجة الدين وعولمة الخوف:
الظاهرة الداعشيّة أنموذجًا

التجاني بولعوالي
باحث مغربي

قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
All rights reserved
Mominoun Without Borders

ملخص الدراسة:

إنّ المقصد الجوهري من هذه الدراسة ليس تقديم توصيف تاريخي لنشوء حركة داعش أو تشخيص بانورامي لامتدادها الأفقي على جسد الجغرافيا العربية، وإنّما التأمل الفلسفي والعقلاني في ملابسات انبثاق ظاهرة جديدة تتجاوز المكان والإحداثيات إلى الوعي والإدراك، مخلّفةً شتى الردود والآثار النفسية التي تستحيل مخاوف و"فوبيا" جديدة، ترسخ الانطباع السلبي حول صورة الإسلام لدى البعض، وتحفز البعض الآخر على الاقتراب أكثر من حقيقة الإسلام التي لا يمكن اختزالها في تنظيم داعش أو غيره من الحركات المتطرفة. وقد اقتضى الموضوع معالجة جملة من القضايا والإشكالات المتعلقة بالظاهرة الداعشية، كتضارب التفسيرات حول من صنع داعش، ونشوء الظاهرة الداعشية، وأبعادها الإعلامية والرمزية والسيكولوجية والأمنية، ثم دورها في عولمة الخوف.

توطئة:

يتم التركيز في النقاش الإعلامي والسياسي أكثر على حركة داعش في حد ذاتها؛ كيف ظهرت إلى الوجود؟ ومن أوجدها أو صنعها؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى قيامها؟ ويندر أو يكاد ينعدم الحديث عن الظاهرة الداعشية التي لا تقتصر على السياق العراقي- السوري الذي تنشط فيه هذه الحركة بكثافة، وإنّما تتجاوزه إلى باقي المناطق العربية والإسلامية، وأحيانا الدولية، حيث يتصاعد تفشي هذه الظاهرة لا في بعدها الإعلامي فحسب، بل في شتى أبعادها كالرمزي (أعلام، ملصقات، لباس) والنفسي (إعجاب، تعاطف، سفر للجهاد) والأمني (تربص، مراقبة مشددة، استنفار، تنسيق دولي)، مما يعني أنّ هذا الموضوع المستجد يقتضي مقاربةً عقلانيةً شموليةً لا تكتفي بالإجابة الجاهزة على الأسئلة السطحية المتداولة، وإنّما تستنطق "المسكوت عنه" أو"اللا مفكر فيه"[1] عبر طرح الأسئلة الإشكالية المغيبة، ومحاولة تفكيكها في ضوء أهم التفسيرات الدينية والفكرية والسياسية السائدة.

إنّ أهم ملاحظة قد نسجلها أثناء قراءتنا لما يكتب حول موضوع الحركات الدينية الحديثة والمعاصرة، هي أنّه عادة ما ينزع الباحث فيها إلى توصيف الحركة والتنقيب في الأسباب التي تقف وراء نشوئها وتطورها، وهذا يشكل في الواقع جوهر المنهج التاريخي الذي يتتبع المسألة في ارتقائها الكرونولوجي وامتدادها الأفقي. ليس هذا هو ديدننا في هذه الدراسة التي لا تهدف إلى وصف حركة داعش والإحاطة بملابساتها التاريخية والواقعية. أو بعبارة أوضح، فهي لا تتمحور حول "داعش" باعتبارها تنظيمًا أو حركةً (دينية)، وإنّما بكونها ظاهرةً جديدةً تتخذ من الدين مطيةً لتمرير أفكارها المتطرفة وتبرير ما تقترفه من جرائم وانتهاكات غير مقبولة وحيًا ورأيًا، شرعًا وعقلاً، شريعةً وحقيقةً. وهكذا تتم أدلجة الدين وتوظيفه لتحقيق أهداف غير دينية، كالوصول إلى السلطة وجمع الثروة والانتقام من الخصوم، وغالبًا ما تُعتمد آليات لا إنسانية أثناء المواجهات والاقتتال (إعدام، تشويه، حرق، تهجير) تبرر بنصوص مقدسة، فتنشأ جراء ذلك مشاعر الخوف والتوجس والقلق التي تتجاوز ما هو محلي (سياق المواجهة) إلى ما هو كوني (سياق الوعي الإنساني)، وذلك بحكم العولمة الرقمية والانفجار المعلوماتي والتدفق المعرفي.

[1] يعتبر المفكر محمد أركون أول من وظف مفهومي "المسكوت عنه" و"اللا مفكر فيه" في كتابه "تاريخية الفكر العربي الإسلامي"، حيث يرى أنّ هناك في الفكر والتراث الإسلاميين ما لم يفكر فيه "لأسباب أيديولوجية محضة. ولا يعود هذا إلى أنّ اللغة العربية قاصرة عن ذلك، ولا لأنّ فكر المسلمين ضيق أو ضعيف بالطبيعة أو بشكل أزلي، أو أنّه غير قادر على إدراك تلك الدرجة من التفكير والفهم. لهذا السبب ألح كثيرًا على **ما لم يفكر فيه بعد** في الفكر الإسلامي، إمّا لأنّ الفكر الإسلامي تنحصر مرحلته الإبداعية كلها في الأطر الفكرية الخاصة بالقرون الوسطى (أي المنظومة المعرفية الخاصة بهذه الفترة) وإمّا بسبب ما سيطر عليه من منظومة إيديولوجية في صورة أرثوذوكسيات دينية". أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، (بيروت: مركز الإنماء القومي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1996/2)، ص ص 8- 9

والمراد بمفهوم الظاهرة/Phenomenon اصطلاحًا "كل واقعة يمكن إدراكها بالحواس والتجربة".[2] أمّا فلسفيًّا، فيميز إيمانويل كانط بين مفهومي: الذهني أو الاسمي Noumenon والظاهراتي Phenomenae، إذ العالم الذهني يعني ذلك العالم الذي يتصوره الإنسان ويكون مستقلاً عن الواقع، أما العالم الظاهراتي فهو العالم نفسه كما يتجلى للوعي الإنساني.[3] في ضوء هذا التحديد يبدو أنّ الظاهرة الداعشية التي نحن بصدد تفكيكها ظاهرة واقعية يشاهد المرء آثارها على أرض الواقع، وفي الوقت ذاته يدرك تداعياتها المعلنة والخفية على مستوى الوعي والاستشعار والتوقع.

1- سؤال السبب: من صنع داعش؟

على الرغم من أنّه لم يمض إلاّ أقل من سنة ونصف على الإعلان الرسمي عن الدولة الإسلامية في العراق والشام،[4] وذلك في 9 أبريل 2013، فإنّ خبرها طبّق آفاق المعمورة، فاغتنى المعجم العربي والإنساني بمصطلح "داعش" الغريب، الذي جُمعت فيه الحروف الأولى للكلمات الأربع المكونة لاسم هذا التنظيم الأيديولوجي الجديد، فأصبحت هذه التسمية الدخيلة متداولةً أكثر من الاسم الأصلي، تتناقلها ألسن الخاصة والعامة شرقًا وغربًا، تارة مستهزئةً من حماقة هذه الفرقة وأتباعها الذين تصوّرهم عدسات الكاميرا وهم غريبو الأطوار والأمزجة والأفعال، وتارة أخرى محذّرة من خطر هذا التنظيم الذي لا يتقن إلا لغة القتل والتنكيل والهدم التي لا تمت بصلة إلى روح الإسلام ورحمته.

إنّ تنظيم داعش يعتبر ظاهرةً شاذةً في المنطقة العربية والإسلامية، بما أنّه يختلف بشكل جذري عن الحركات الراديكالية التي شهدها السياق الإسلامي أثناء العقود الأخيرة، من حيث إنّه لا يتوانى عن التكفير والتهجير وهدر الدماء دون أي تمييز بين المسلم وغير المسلم، بين البريء والجاني، وبين المظلوم والظالم، بيد أنّ السؤال المهيمن في النقاش الدائر حول هذه الظاهرة كثيرًا ما يركز على من يقف وراء هذا التنظيم والعوامل التي أدت إلى ظهوره، وليس على ما يقوم به هذا التنظيم؛ على من صنع داعش، وليس على ما تصنعه داعش! وكأنّ العين أضحت معتادة على رؤية مشاهد الدم المراق، وقوافل اللاجئين التائهة، وصور الطفولة المشوهة، فانصرف السؤال إلى غير ذلك؛ لا إلى (ماذا) يحدث؟ وإنّما إلى (لماذا) يحدث ذلك؟ فاعتصم العرب والمسلمون

[2] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (لبنان: مكتبة لبنان، ط2/1984)، ص 240

[3] Moyaert, Marianne, 'Ricoeurs talige gastvrijheid Een model voor de interreligieuze dialoog', in: tijdschrift voor theologie, Nederland 48/2008, p 44 en 45

[4] ملاحظة: سوف يصبح اسم التنظيم فيما بعد الدولة الإسلامية فقط.

بلام (لماذا؟)، وهم يغضون الطرف عن (ماذا؟) يحصل على أرض الإسلام والعروبة! فضاعت الحقيقة في ردهات السؤال عن السبب، عوض السؤال عن الكروب التي ألمت بالإنسان والمجتمع.

وقد جارينا بدورنا التيار الفكري السائد، وتساءلنا عن السبب حتى يبطل العجب، غير أنّه بعد رحلة البحث عن حقيقة داعش رجعنا بخفي حنين! وقد تولّد في نفوسنا شك فلسفي عميق، ليس بسبب الجهل أو التردد، بل توقا إلى اليقين، لأنّ "من لم يشك لم يبصر، ومن لم يبصر وقع في العمى والضلال".[5] وهكذا لاحظنا أنّ كل فريق يتهم الفريق الآخر بأنّه هو الذي صنع داعش؛ فالمسلمون يتهمون الغرب، والعرب يتهمون الصهاينة، والسُنّة تتهم الشيعة، والإخوان يتهمون الوهابية، وهلمّ جرّا. لكن غاب عن الجميع أنّ داعش لم تأت من فراغ أو عدم، بل ساهم الجميع في صناعتها، وتهيئة المناخ الملائم لتفشي أفكارها الهدّامة، وترهيب الأمّة في عقر دارها، وها هي الآن تنقلب على الجميع دون تمييز بين العدو والصديق.

وفيما يلي قراءة متأنية لأهم التفسيرات التي يتمحور أغلبها حول من صنع داعش؟ ولماذا تم ذلك؟ وهي تتحدد كالآتي:

صناعة إيرانية لدعم نظام الأسد

يجزم بعضهم بأنّ داعش صناعة إيرانية محض لحصار المد السُنّي في العراق من جهة، وضرب الثورة ضد النظام السوري التي تتزعمها الفصائل السُنّية من جهة ثانية، تتبنى هذا التفسير فئة من الإعلاميين والسياسيين وعلماء الدين. يذهب أحد الإعلاميين إلى أنّه "يجب أن نعرف أنّ داعش مجرد لعبة إيرانية كبرى، تم زرعها في العراق وامتدت أشواكها إلى سوريا، ومن يراقب الأحداث فسيعرف من كان أكثر المستفيدين من داعش". ثم يستطرد قائلا: "قبل أن يرحل داعش إلى سوريا كان نظام بشار يتهاوى، دخل داعش فتأخر سقوط النظام، ثم اشتبك الثوار مع بعضهم وما زالت القصة في سوريا معقدة وغير واضحة".[6] ولا يختلف عن ذلك ما صرح به شيخ سعودي معروف لقناة العربية مؤكدًا "أنّ تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، والمعروف بـ "داعش"، من صنيعة المخابرات السورية والإيرانية بهدف إجهاض الثورة السورية."[7] وعلى النحو نفسه، يمضي أحد قادة المقاومة العراقية، الذي يرى "أنّ داعش صناعة إيرانية استخدمت في سوريا للوقوف مع بشار

[5] الغزالي، أبو حامد، **ميزان العمل**، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1995)، ص 222

[6] المطرفي، خالد، "حقيقة داعش"، العربية نت، الخميس 13 شعبان 1435هـ/12 يونيو 2014م

[7] "الفوزان: سوريا وإيران صنعتا "داعش" لإجهاض الثورة"، العربية نت، الأحد 3 ربيع الأول 1435هـ /5 يناير 2014م

الأسد".[8] غير أنّه هل تكفي هذه التصريحات لإقرار أنّ داعش صناعة إيرانية، في الوقت الذي نسمع فيه تصريحات مضادة تقوّض ما يدّعيه الخصوم، من بينها أنّه لا يعقل لتنظيم صنعته إيران أن يتبنى تفجير السفارة الإيرانية في بيروت في نوفمبر 2013 الذي ذهب ضحيته 23 قتيلاً،[9] من بينهم الملحق الثقافي الإيراني. ألا ينطوي هذا على تناقض عميق يوحي بأنّ تنظيم داعش أكبر من أن يكون صناعةً إيرانيةً؟!

صناعة صهيونية بمباركة أمريكية

يقر بعضهم الآخر بأنّ داعش صناعة صهيونية متذرعًا بالتقرير الذي نشره الموقع الأمريكي Veterans Today، والذي مفاده أنّ زعيم الدولة الإسلامية؛ أبو بكر البغدادي ليس إلاّ عميلاً للموساد، وأنّ اسمه الحقيقي سميون إليوت أو إليوت سيمون. وقد استند هذا الموقع إلى تصريحات إدوارد سنادون الذي ذهب إلى أنّ حركة داعش صناعة أمريكية وإسرائيلية وبريطانية من أجل استقطاب أكبر قدر ممكن من المقاتلين المتطرفين من شتى أصقاع العالم في تنظيم موحد، لخلق الفوضى في الشرق الأوسط والمنطقة العربية، ومن ثم تفكيك الدول، وهذا ما سوف يمكن إسرائيل والغرب من السيطرة المطلقة على ثروات المنطقة.[10] ويقترب هذا التفسير من الرأي الذي فاجأت به وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلاري كلينتون الرأي العام، عندما اعترفت في مذكراتها بأنّ الإدارة الأمريكية هي التي أسست تنظيم داعش قصد تقسيم المنطقة العربية وتفتيتها للتحكّم في الثروة النفطية والمنافذ البحرية، وكانت تستعد للإعلان عن الدولة الإسلامية المفبركة، إلاّ أنّ ثورة مصر في 30 يونيو 2013 بعثرت الأوراق الأمريكية. لكن ألا يتعارض هذا القول مع ما رددته هيلاري كلينتون مؤخرًا لما أرجعت ظهور تنظيم داعش وامتداده إلى "الفشل الغربي في مساعدة ثوّار سوريا". و"أنّ الفشل في بناء قوّات مقاتلة ذات مصداقية من المعارضين لنظام بشّار الأسد، تضمّ الإسلاميين والعلمانيين ومختلف مكوّنات منطقة الشرق الأوسط، الفشل في ذلك هو الذي أوجد فراغاً، وهو الفراغ الذي ملأه الجهاديّون الآن".[11]

استمرارية للقاعدة..!

يذهب فريق آخر إلى أنّ حركة داعش نسخة مطوّرة عن تنظيم القاعدة، إذ يرى أحد الإعلاميين أنّ "داعش هي نسخة كربونية من القاعدة، بل هي أكثر توحّشًا وإجرامًا وفتكًا وقبحًا، وقد وصل الإجرام الوحشي

[8] العبيدي، حازم، "برنامج صوت الناس"، قناة المحور 2، في: شبكة الإعلام العربية محيط، 13 يونيو 2014

[9] "«داعش» تتبنى تفجير الضاحية الجنوبية لبيروت"، **الوسط البحرينية**، ع 4138، الأحد 05 يناير 2014م الموافق 29 شوال 1435هـ

[10] 'French Report ISIL Leader Mossad Agent', in: www.veteranstoday.com, Monday, August 4th, 2014

[11] "كلينتون: داعش ظهر بسبب الفشل في مساعدة ثوار سوريا"، العربية نت، الأحد 13 شوال 1435هـ/10 أغسطس 2014م

لهذا التنظيم بشكل فاقع لدرجة أنّهم يقطعون رؤوس البشر ويتقاذفونها كالكرة".[12] غير أنّ الشيخ عدنان العرعور ينفي إمكانية ارتباط داعش بالقاعدة، إذ يقول: "داعش ليست من القاعدة، وهي تستتر بها لجذب الشباب، حتى إذا جاءت كلمة الفصل من الشيخ الظواهري انكشفت حقيقتهم!!". ثم يضيف أنّ "القاعدة لديها اضطراب في قضايا التكفير، أما داعش فهي ثابتة الخطى، فهي تحكم مباشرة بالرِدّة وتقتل!!".[13] ويعضد الرأي الأخير بيان زعيم القاعدة أيمن الظواهري على قناة الجزيرة في يناير 2014، الذي تبرّأ فيه من الدولة الإسلامية في العراق والشام، واعتبر جبهة النصرة ممثّل القاعدة في سوريا. علاوة على ذلك، فقد أدارت داعش معارك طاحنة في سوريا ضد جبهة النصرة، تمكنت خلالها من اغتيال ممثل الظواهري أبي خالد السوري بتفجير مقرّه في مدينة حلب، وذلك في شهر فبراير 2014.[14]

صناعة سلفيّة وهّابية تكفيريّة

يتبنى فريق آخر رؤية مغايرة لما سبق، وهي في الحقيقة رؤية الطرف الرسمي السوري التي مؤداها أنّ تنظيم داعش صناعة سلفية وهابية، ولا علاقة له بالنظام السوري كما ترى الكثير من الجهات الرسمية والشعبية العربية والإسلامية، وقد حاول أحد الصحافيين جاهدًا دحض هذا التفسير، وهو يجيب على بعض الأدلة التي يتذرع بها خصوم النظام السوري، نكتفي في هذا المقام بعنصرين أساسيين؛ أولهما ربط تنظيم داعش بإطلاق سجناء الحركات التكفيرية المتطرفة في السجون السورية الذين سوف يشكلون اللبنة الأولى لهذا التنظيم، وهذا، حسب الصحافي، دليل هش ومردود، لأنّ داعش لم تتأسس سنة 2013، وإنّما منذ سنة 2004 بأسماء متنوعة، كجماعة التوحيد والجهاد، والقاعدة في العراق، ومجلس شورى المجاهدين، ودولة العراق الإسلامية، ثم الدولة الإسلامية في العراق والشام، كما أنّ عدد السجناء الذين أطلق سراحهم كان محدودًا، فمن أين أتت الآلاف التي تقاتل تحت لواء داعش؟! أما العنصر الثاني فمفاده أنّ أهم قادة هذا التنظيم ذوو عقيدة سلفية وهابية تكفيرية، بدءًا من أبي مصعب الزرقاوي ثم أبي أيوب المصري ثم أبي عمر البغدادي وانتهاء بأبي بكر البغدادي.[15] بيد أنّ هذا التفسير سرعان ما سوف تعوزه الواقعية عندما يضع صاحبه مجموعة من الجهات في خندق واحد، كالمعارضة السورية والإخوان المسلمين والسلفية الوهابية والموساد ودول الخليج، التي لم

[12] الشريمي، علي، "دعش.. يدعش.. دعشا"، الوطن أون لاين السعودية، 18 يناير 2014

[13] "العرعور يفجر حقيقة داعش.."، قناة شذا الحرية، في: مذكّرة الإسلام، الاثنين 13 يناير 2014

[14] "ما هو تنظيم "داعش"؟ مسيرته منذ الانشقاق عن "القاعدة" وحتى إعلان "دولة الخلافة""، جريدة الحياة، الأربعاء، 11 يونيو/حزيران 2014

[15] الحلبي، أبو الطيب، "هل داعش من صنع النظام أم صنع الموساد!"، سوريا بريس حلب، 12 يناير 2014

تسلم أيضا من شكوك البعض، كالإعلامي عبد الباري عطوان الذي صرح لإذاعة مونت كارلو الدولية بأنّ قوة تنظيم داعش "مستمدة من بعض الأموال الخليجية".[16]

فضلاً عن ذلك، هناك من يرى أنّ إيديولوجية داعش تنبني على فكر الخوارج التكفيري، يقول في هذا الصدد أحد الباحثين في شؤون الحركات الإسلامية إنّ "داعش لها أفكار تكفيرية أشد من أفكار تنظيم القاعدة، وقد كانوا يزعمون أنّهم يقاتلون الأمريكان لتحرير العراق، والآن يزعمون أنّهم يدافعون عن أهل السُنّة، مع أنّ أفكار هذا التنظيم هي أفكار الخوارج الذين قتلوا علي بن أبي طالب وحاربوا الصحابة، وبالتالي فقد أجمع علماء السُنّة على أنّ أفكار داعش هي أفكار الخوارج".[17]

استنادًا إلى ما سبق، يبدو أنّ ثمة انقسامًا عارمًا بين المسلمين؛ دعاةً ومثقفين وسياسيين وإعلاميين حول الجهة التي ساهمت في صناعة الظاهرة الداعشية، وتعمل على دعمها بالمال والسلاح حتّى تتقوّى شوكتها، لا في بلاد الرافدين فحسب، وإنّما في المنطقة العربية برُمّتها، فهناك من يربط هذا التنظيم بإيران، وهناك من يظن أنّه صناعة صهيونية أمريكية، وهناك من يعتبره موالِيًا للنظام الرسمي السوري، وهناك من يذهب إلى أنّه بدعة سلفية وهابية، وهناك من يعتقد أنّه استمرار لتنظيم القاعدة، وهناك من يرى في أتباع هذه الحركة خوارج الأمة الجدد، مما جعل الأمة الإسلامية في حيرة من أمرها، لا تعرف إلى أي صف تنحاز، ولا تدري أي حقيقة تصدق، وقد تملّكها عجز غريب عن فهم ما يقع لها، واستيعاب ما يحمله لها المجهول من مفاجآت سارة أو ضارة.

2- الظاهرة الداعشية وأدلجة الدين

هناك أكثر من مؤشر واقعي على أنّ حركة داعش التي ظهرت بشكل رسمي قبل سنة ونيف في بلاد الرافدين، امتدت وتشعبت على أرض الواقع، لتخلق لها كيانًا قائمًا بذاته يشبه الدولة المستقلة، وهذه في الحقيقة مقاربة أمنية محض تعضدها مختلف التقارير السياسية والإعلامية، ولا يختلف اثنان في أنّها صحيحة. غير أنّ المُغَيَّب أو المسكوت عنه في هذه المقاربة هو أنّ العالم أصبح إزاء ظاهرة جديدة تتغذّى بفكر التطرّف والغلوّ والعنف، عن طريق ليّ أعناق النصوص الدينية وتحميلها ما لا تحتمل، وهي الظاهرة الداعشية التي ما انفكت تمتدّ مثل نهر جارف خارج قواعدها الأصلية، فصار الوعي الإنساني منشغلاً بما تحمله هذه الإيديولوجية

[16] "عبد الباري عطوان: تنظيم داعش مدعوم من طرف بعض الأموال الخليجية"، مقابلة مع فرنسا 24، 14 يونيو 2014

[17] "خالد الزعفراني، ما حقيقة داعش؟"، مقابلة مع قناة البغدادية، في: عرب أونلاين، 14 يونيو 2014

المتستّرة بما هو ديني من أفكار متطرّفة وهدّامة، تختلف جذريًّا عن طبيعة الإسلام السمحة التي بدأ يكتشفها الغرب في الآونة الأخيرة، مما فسح المجال لنشوء "فوبيا" عالمية جديدة مما يحدث.

وقبل المضي نحو تفكيك بعض أبعاد هذه الظاهرة، نودّ أن نطرح في هذه الفقرة تفسيرًا شخصيًّا، مفاده أنّ الظاهرة الداعشية التي نحاول جاهدين تفكيك خيوطها المتشابكة، وفهم طلاسمها المستعصية، ومن ثَمّ إماطة اللثام عن حقيقة صانعها المجهول، ينبغي أن لا نختزلها في حركة داعش فحسب، ونكتفي كالعادة بأن نقول بأنّها "رافضية" أو "خارجية" أو "وهابية" أو "متصهينة" أو غير ذلك، قصد تبرئة ذمتنا مما يحدث، واعتبار أنفسنا الفرقة الأفضل أو الفرقة الناجية، ثم نمضي إلى حال سبيلنا، وكأنّنا أدينا ما علينا من مسؤولية تجاه الخالق والإنسان والمجتمع، ونحن نجهل أو نتجاهل بأنّ الظاهرة الداعشية أكبر من حركة داعش، وأنّها تتجذر في قرارة نفوسنا الجشعة، ويحملها كل واحد منا بين جوانحه وجوارحه الجامحة، عندما يدعي الحقيقة المطلقة، وعندما يقصي كل من يختلف عنه دينيًّا وثقافيًّا وإثنيًّا، وعندما يعامل غيره بعنصرية نتنة وتمييز ممقوت، وعندما يتطرف لصالح رأيه ومذهبه. لذلك لا داعي للتحليق بعيدًا ونحن نقتفي أثر من صنع داعش، إذ يكفي النظر في أحوالنا الرديئة وأفعالنا الدنيئة لندرك أنّ السبب الذي يقف وراء نشوء داعش يتأصل فينا جميعا، فلا حاجة إلى مشجب نعلق عليه اتهاماتنا للآخر بتهديد وجودنا وهويتنا وعقيدتنا، ونحن ما نفتأ نهدم كياننا الذاتي بمعول النرجسية والإقصاء والتعصب والطائفية، حتى صار كل واحد منا بمثابة داعشي مستبد لا يؤمن إلاّ برأيه، فأما آراء الآخرين فإلى الجحيم!

هكذا يساهم الجميع إذن، عن وعي أو عن لا وعي، في صناعة الظاهرة الداعشية، التي تمتد كلما تخلل سلوكنا الجشع والأنانية والبغض، وتنكمش كلما تحلينا بالتسامح والإيثار والرحمة، لذلك فإنّ كل التفسيرات المثبتة أعلاه تنطوي على جانب من الصواب، فالجميع هيأ الظروف لانبثاق هذه الثمرة الفاسدة سواء في الغرب أو في الشرق، وقد رأينا كيف صنعت المخابرات الغربية "القاعدة" بمباركة من الكثير من الدول العربية والإسلامية، فانساقت الشعوب بدورها وراء هذا "الاختيار الاستراتيجي"، وهي ترى آنذاك في طالبان البديل الإسلامي الأنجع، غير أنّه سرعان ما تكشفت الحقيقة المرة، فراح كل فريق يتهم الفريق الآخر بأنّه هو الذي صنع القاعدة، دون أن يدرك الجميع بأنّهم كلهم أسهموا في ذلك، وهذا نفسه ما يتكرر اليوم مع داعش، إذ تنكر جميع الأطراف أن تكون لها أية علاقة بها، لتظل الأجوبة على سؤال السبب (لماذا صنعت داعش؟ ومن صنعها؟) ساذجة ومتضاربة.

إنّ الإجابة السليمة على هذا السؤال الإشكالي لا تتحقق إلاّ عبر استنطاق الذات/النحن عن مكمن الخلل الذي قد يكون في فهم الهوية، أو في تنزيل النص، أو في تنفيذ برامج التربية، أو في وعي الآخر، أو في غير

ذلك، لا سيما وأنّ داعش لم تأت من عدم، وإنّما انبثقت من بيئتنا، لذلك فهي جزء لا يتجزأ من ذاتنا، أو بالأحرى جزء لا يتجزأ من الخلل الذي يعتري واقعنا المتردي. أمّا أن نسارع إلى تبرئة ذممنا عن طريق الزعم بأنّ داعش صناعة أجنبية، وأنّها جزء من مخطط خارجي يستهدف وجودنا، فهذا بمثابة هروب جبان من الحقيقة، بل وتأويل مغلوط لنظرية المؤامرة التي صرنا نشكل طرفًا جوهريًّا فيها، ثم نجتهد في التحذير من أضرارها وأخطارها!

3- أبعاد الظاهرة الداعشية وامتداداتها

إنّ تفشي الظاهرة الداعشية أضحى يتخذ أبعادًا متنوعة، كالبعد الإعلامي الذي ينفرد بحصة الأسد عبر الحضور المكثف لهذه الظاهرة في مختلف وسائل الإعلام العربية والدولية، والبعد الرمزي من خلال شتى الرموز والشارات الدالة على تنظيم داعش، كالأعلام والملصقات واللباس، والبعد النفسي الذي يترجمه بعض الشباب المتأثر عن طريق مشاعر الإعجاب والتعاطف مع هذه الحركة، وأحياناً السفر للجهاد، والبعد الأمني الذي بات يحضر لدى العديد من دول المنطقة في صيغة مراقبة أمنية مشددة واستنفار عسكري وتنسيق دولي.

ازدواجية الخطاب الإعلامي

إنّ العولمة الرقمية وشبكات الإنترنت العالمية جعلت المعلومات حول حركة "داعش" تنفجر في كل اتجاه وحين، حتى أنّ المرء يعجز عن الإحاطة بما يُكتب ويُقال حول هذه الظاهرة المستجدة، التي انتشرت في زمن وجيز كانتشار النار في الهشيم، ولعل كل من يلج عالم الإنترنت قد يسجل هذه الملاحظة، ويلتفت إلى مدى امتداد هذه الظاهرة في شتى المواقع والمنتديات والشبكات والمدونات، حيث البحث عن لفظة "داعش" عبر محرك البحث العملاق جوجل يسفر عن حوالي تسعة ملايين نتيجة وعن حوالي 22 مليون شريط مصور (فيديو).[18] وإن دل هذا على شيء، فإنّه يدل على مدى الحضور المكثف للظاهرة الداعشية في الذاكرة الإعلامية الذي ما هو إلا انعكاس واقعي لحضورها في الوعي الإنساني، الذي يعيش ويعايش تفاصيل هذه القصة الدرامية لحظة بلحظة، إما على أرض الميدان كما هو الحال في العراق وسوريا، وإما عبر المتابعة الإعلامية الحية والمسجلة.

إنّ أول سؤال إشكالي تثيره المشاهد والصور المأساوية التي تكشف ما تقترفه هذه الفرقة من جرائم وانتهاكات هو: إلى أي حد يمكن تصديق هذه الصور واللقطات التي تتناقلها بعض وسائل الإعلام، لا سيما وأنّ

[18] حسب آخر تصفح لمحرك البحث جوجل في: 26 غشت 2014

الكثير منها كان مزيفًا وملفقًا كما اتضح فيما بعد؟! لقد تم تداول شريط يصور امرأة سورية في مقتبل العمر تتعرض للرجم بسبب فاحشة الزنا، فظهر فيما بعد أنّها لقطة من الفيلم الإيراني المشهور "رجم ثريا" الذي أنتج سنة 2009.[19] كما تم نشر صورة لرجل ملتحٍ صحبة فتاة صغيرة شقراء تبكي، وكتب تحتها: زواج داعشي من فتاة تبلغ سبع سنوات، غير أنّه اتضح فيما بعد، في شريط مصور، أنّ تلك الفتاة كانت تشارك في مسابقة قرآنية نظمت بمدينة حلب في سبتمبر 2013، وقد بكت بسبب خطئها في تلاوة سورة الفلق، بل وتلقت رفقة أطفال آخرين هدايا في آخر اللقاء، من ذلك الرجل "الداعشي" الواقف جنبها في الصورة المزيفة والملفقة![20]

هذان المثالان الحيّان يميطان اللثام عن أنّ شقًّا مهمًّا من المشاهد التي تُنشر عبر الفايسبوك واليوتوب وغيرهما من المواقع الرقمية الذائعة الصيت لا أساس لها من الصحة والواقعية، غير أنّ هذا لا يمكن أن يعني على الإطلاق أنّ ساحة داعش براء مما يُرتكب من جرائم بشعة ضد الأطفال والنساء والشيوخ والمواطنين العزل، غير مكترثة بالقيم السمحة والأخلاق الحميدة التي تأسست عليها بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسل رحمة للعالمين. وهكذا، فإنّ حركة داعش التي ظهرت في ظرفية تاريخية حساسة تشهد ارتدادًا شديدًا في مسار الربيع العربي، كسرت توقعات الخبراء والإعلاميين والاستراتيجيين بخصوص مستقبل المنطقة العربية، وغيرت اتجاه السيناريوهات التي وضعتها أشهر مراكز البحث الغربية، بل وخيبت آمال دعاة الحوار بين الأديان والثقافات في الداخل الإسلامي وخارجه، لا سيما وأنّ الرؤية التي تحملها هذه الحركة الكاسحة تنافي بشكل مطلق قيم الدين الإسلامي الحنيف، وفلسفة الأنوار العقلانية، ومواثيق حقوق الإنسان العالمية، وروح الربيع العربي الحالمة.

بناءً على هذا، يتضح أنّ البعد الإعلامي تحكمه ازدواجية بارزة تتراوح بين قطبي الشفافية والتمويه أو الصدق والكذب، إذا ما نحن اعتمدنا منطقًا أخلاقيًّا في تقدير الأمور. ويمكن أن نستحضر في هذا الصدد وجهة نظر الناقد السينمائي الأمريكي جون ليدن حول طبيعة الفيلم المزدوجة بكونه يعيد إنتاج الواقع من ناحية، وتشويهه من ناحية ثانية.[21] وهذا ما قد يسري أيضا على نماذج إعلامية متنوعة كما رأينا من خلال الأمثلة السابقة، ولعل مرد ذلك إلى التعارض بين طبيعة التناول الذي يكون أيديولوجيًّا، وطبيعة الرسالة التي تكون دينيةً.

[19] "هذه حقيقة رجم "داعش "لفتاة سورية بسبب الفيس بوك"، قناة MBC الرقمية www.mbc.net، أبريل 2014

[20] "حقيقة زواج داعشي من طفلة عمرها 7 سنوات"، موقع كندا بالعربي www.arabiccanada.com، 14 عشت 2014

[21] Lyden, John C, Film as religion, myths, morals, and rituals, (New York and London: New York University Press 2003), p. 48

توظيف رمزي للدين

لا يمكن الحديث عمّا هو إعلامي في انفصال عن البعد الرمزي، بما أنّ الأشكال الإعلامية والصحافية تعد بمثابة الوعاء الذي تُنقل عبره المعلومة والصورة والصوت والرمز في صيغة رسائل موجهة من المرسل إلى الجمهور، وعندما نستقصي طبيعة الحضور الذي تحظى به الظاهرة الداعشية في الإعلام، نجد أنّ الرمز الداعشي يلعب دورًا رئيسًا في هذا الحضور، وهو يتجلى من خلال العلم الأسود الذي كُتبت أعلاه عبارة: لا إله إلا الله، ويليها قرص أبيض مكتوب عليه: الله رسول محمد، وهو خاتم الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي كان من ورق، وكان فصّه حبشيًّا،[22] وقد استعمله لختم الرسائل الموجهة إلى العجم، لأنّهم كانوا لا يقبلون إلا كتابًا عليه خاتم،[23] كما يروي أنس بن مالك في حديثين مذكورين في كتاب الشمائل المحمدية لأبي عيسى الترمذي، تحت باب ما جاء في ذكر خاتم الرسول صلى الله عليه وسلم. وما يسترعي الانتباه أنّ هذا التوظيف الأيديولوجي لخاتم الرسول ينبني على مفارقة صارخة، لأنّ رسول الإسلام اعتمد هذا الخاتم في زمانه بغرض تحفيز الحوار الحضاري مع ملوك الأمم غير المسلمة وقياصرتها، ولم يرفض ذلك معتبرًا إياه بدعةً أو تشبهًا بالنصارى والمجوس، وهذا ما يتعارض مطلقًا مع الرؤية التي يحملها تنظيم داعش، الذي عمل منذ ظهوره على تشريد الآلاف من أتباع الطوائف الأخرى وقتلهم، سواء أكانت مسلمة أم غير مسلمة كالمسيحيين والإيزيديين.

وقد تجلى اللون الأسود في لباس الداعشيين كذلك؛ رجالاً ونساءً وأطفالاً، فَعَمّ السواد كل مجالات الحياة ولحظاتها كأنّ الجميع في حداد متواصل، بل وانطبع ذلك في سلوكهم الذي يتسم بالخشونة والغلو والعنف، فانعكس ذلك في المشاهد والصور التي تُلتقط لهم، حيث الداعشي بلحية شعثاء يلتحف دومًا بلباس داكن ويحمل بندقيةً أو سكينًا! وهذا ما يتنافى كذلك مع تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي كان يحب الأبيض من الثياب، ويهتم بحسن هندامه. ثبت أنّه صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه، وهم قادمون من السفر: "إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنّكم شامة في الناس فإنّ الله لا يحب الفحش ولا التفحش".[24]

---

[22] الترمذي، أبو عيسى، الشمائل المحمدية، تعليق وإشراف عزت عبيد الدعاس، (لبنان: دار الحديث بيروت، ط1408/3هـ - 1988 م)، ر. ح. 82، ص 43

[23] المرجع نفسه، ر. ح. 85، ص 45

[24] ابن المبارك، عبد الله، مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تح. صبحي البدري السامرائي، (المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف الرياض، ط1407/1 هـ - 1987 م)، ر. ح. 33، ص 18

سيكولوجية القتال

لعل اكتساح الظاهرة الداعشية لعالم الإنترنت جعلها تؤثّر بشكل عميق في شريحة مهمة من الشباب، التي رأت في هذه الحركة الناشئة بديلاً ناجعًا قد تَخرُج بفضله الأمّة الإسلامية من مستنقع الفساد والتخلف، وكأنّ التاريخ يعيد نفسه مرة أخرى، لا سيما وأنّ الطريقة السريعة التي ظهرت بها داعش وتقوّت شوكتها في زمن قياسي، لا تختلف كثيرًا عن قصة صعود نجم طالبان منذ 1996، فهل سوف ينطبق سيناريو أفول طالبان على تنظيم داعش كذلك؟ ربما يبدو أنّنا نستبق بهذا السؤال الاستشرافي الزمن، غير أنّ ثمة أكثر من مؤشر على أنّ عمر حركة داعش سوف يكون أقصر بكثير من عمر نسر لقمان!

وكان من الطبيعي لحركة أيديولوجية تدعو إلى التغيير الجذري أن تنال آذانًا صاغيةً في المجتمع، سواء ممن يعاني الفقر المدقع أو ممن يتخبط في مستنقع الضلالة، فكلا الفريقين يقاسي من آفة الجوع؛ جوع بدني يتكبده الفقراء، وجوع روحي يتكبده الضُلّال! وما أكثر هذه الشريحة تعرضًا لحملات الإغواء والإغراء، إمّا لحاجتها إلى ملء بطنها الساغب، وإمّا تلبية لنداء روحها المقفرة. ولعل الشاهد على ذلك هو تعبير الكثير من الشباب في الشرق والغرب عن إعجابهم بتنظيم داعش وتعاطفهم معه، وسوف يتطور ذلك لدى بعضهم إلى القبول بالانخراط في هذه الحركة، بل والسفر آلاف الأميال قصد "الجهاد" في صفوفها ضد "المرتدين". حسب استطلاع قام به مكتب البحث البريطاني ICM Research لحساب وكالة الأنباء الروسية روسيا سيكودنيا في 19 غشت 2014، ينظر 27% من الشباب الفرنسي الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 و24 سنة بشكل إيجابي إلى تنظيم الدولة الإسلامية داعش، وتتقلص هذه النسبة كلما تقدم العمر بهذه الفئة، إلاّ أنّها تستقر عند نسبة 15% التي تغطي 765 ألف نسمة من العدد الإجمالي لمسلمي فرنسا الذي يقدر بـ 5 ملايين و100 ألف مسلم. في حين لا تتعدى نسبة الشباب المعجب بحركة داعش في بريطانيا 7%، وفي ألمانيا 5،3%.[25]

مقاربة أمنية قاصرة!

إزاء هذه التطورات الخطيرة سارعت العديد من الدول الغربية والعربية إلى اعتماد مقاربة أمنية للحدّ من تصاعد حركة داعش، التي أصبحت تهدد الكثير من المناطق في شمال أفريقيا وأوروبا، فوضعت المراقبة المشددة على المنافذ الحدودية؛ برًّا وبحرًا وجوًّا، واستنفرت الجيوش لتنتشر عبر البوادي والحواضر، وتم التنسيق الدولي على مستوى أعلى بين الأصدقاء والأعداء، كل هذا لمواجهة خصم عنيد، صار يتمتع بنفوذ

[25] '27% van de jongeren in Frankrijk: ISIS is gaaf!', Sjors Remmerswaal, in: http://rechtsactueel.com, 22 augustus 2014

معنوي أكثر منه مادي، وقوة رمزية أكثر منها واقعية، حتى أنّ المتأمل بعين العقل فيما يجري قد يحسب أنّ حركة داعش مجرد صناعة إعلامية، تم النفخ فيها بمضخة "البروباغاندا" إلى أن صارت ذات حجم كروي ضخم يضلل الكرة الأرضية كلها، وسرعان ما سوف تنفجر مثل الفقاعة! إلاّ أنّ الظاهرة الداعشية لن تندثر بالقضاء على تنظيم داعش، ولعل أنموذج القاعدة يؤكد هذه الفرضية، وإنما سوف تستمر بمظاهر متنوعة، لا سيما في أوساط الأجيال الصاعدة ولدى بعض المسلمين الجدد، إذ من الصعوبة بمكان أن يتخلص هؤلاء من رواسب الفكر الداعشي ذي الطابع الجهادي التكفيري بين عشية وضحاها، وهذا إن عبّر عن شيء، فإنّه يعبّر عن أنّ الدول التي (يـ)هاجر منها الشباب إلى سوريا والعراق من أجل "الجهاد" أضحت اليوم أمام تحديات عويصة عادة ما يُنظر إليها من الزاوية الأمنية دون اكتراث بحيثياتها النفسية والاجتماعية والتربوية.

تتضارب الأرقام بخصوص عدد المقاتلين الأجانب في العراق وسوريا، ذكر الصحافي كون فيدال في عموده بجريدة الصباح البلجيكية أنّه يوجد ألفا مقاتل من أوروبا في صفوف تنظيم داعش،[26] وهناك من يبالغ نوعًا ما في تحديده لعدد المقاتلين المنحدرين من الدول الأوروبية، إذ يشير إلى 5000 مقاتل، كما تروّج بعض المنابر المعادية للإسلام.[27] ولعل أهم دراسة علمية في هذا الصدد هي التي قام بها مؤخرًا الخبير الإسباني في الحركات الجهادية فرناندو رينارِيس، الباحث في المعهد الملكي "الكانو"، حيث يثبت أنّ حوالي 15 ألف مقاتل أجنبي انضموا إلى الجماعات المسلحة في سوريا منذ سنة 2011، منهم 2400 من تونس، و1200 من المغرب، و1000 من الجزائر، أما الذين يقاتلون في صفوف تنظيم داعش فيقدّرون بحوالي 12 ألفًا، منهم 3000 ينحدرون من أوروبا، حسب الخبير في العلاقات الدولية في جامعة أونيد الإسبانية كارلوس إيشيفيريا.[28]

4- الظاهرة الداعشية وعولمة الخوف

في الوقت الذي يشهد فيه الإسلام اهتمامًا منقطع النظير في الغرب قصد التعمق في حقيقة هذا الدين اللاهوتية والتاريخية والثقافية، تطفو على السطح، من فينة إلى أخرى، ممارسات شاذّة من قبل أفراد وجماعات محسوبة على الإسلام، ما يثير توجسات ومخاوف لدى الآخر غير المسلم، ويزرع الشكوك لدى صُنّاع الحوار الحضاري الذين ينشغلون بالتقريب بين الأديان والفلسفات والثقافات منذ عقود طويلة. ولعل التوتّرات المذهبية

[26] Koen Vidal, 'Tweeduizend Europese jongeren strijden mee met ISIS. Kan Europa nu werk maken van een echt beleid tegen Syriëstrijders?', in: www.demorgen.be, 16 juni 2014

[27] 'Islamitisch paradijs', in: www.vlaamsbelang.be, 12 maart 2014

[28] Ghifar Al., 'Periódico español: los países del Magreb son la base principal para el arranque de los terroristas a Siria e Irak', in: www.sana.sy, Madrid, 15/07/2014

والإيديولوجية التي تلمّ بالعالم العربي والإسلامي من شأنها أن تعرقل أو تؤخّر، بشكل أو بآخر، مسار التلاقح الثقافي بين الأمم والملل بصفة عامة، والانفتاح الغربي على الإسلام دينًا وثقافةً بصفة خاصة.

إنّ هذا الانفتاح هو بمثابة إعادة اكتشاف لحقيقة الإسلام عبر مختلف الآليات، كدراسة الإسلام، والسفر إلى العالم الإسلامي، وتعلم لغات المسلمين، وتأليف البحوث، واعتناق الدين الإسلامي، وهذا ما نجم عنه نشوء شريحة جديدة تتعاطف مع الإسلام، لا تشمل حكماء الغرب من فلاسفة ومفكرين ومثقفين فحسب، وإنّما تتجاوزهم إلى المواطنين العاديين الذين احتكوا بالمسلمين، فتعرّفوا عن كثب على تقاليد الإسلام المتميزة وقيمه السمحة، فاكتشفوا أنّ أكثر ما يتم ترويجه في وسائل الإعلام لا أساس له من الصحة والواقعية. ترى هل سوف تقف الظاهرة الداعشية سدًّا منيعًا أمام رغبة الغرب في التعرف على الإسلام، أم أنّها سوف تحفّزه أكثر على ذلك، كما حصل مباشرة عقب أحداث 11 سبتمبر 2001؟

يمكن الحديث عن قراءتين لتداعيات الظاهرة الداعشية على صورة الإسلام في الغرب، أولاهما تتخوف من أن يلحق ضرر معين بهذه الصورة، وثانيتهما تستبعد ذلك، أيّهما الأصحّ إذن؟ في واقع الأمر، تنطوي كلا القراءتين على جانب من الصحّة، إذ سوف تزداد صورة الإسلام تردّيًا لدى الحركات المناوئة للإسلام، كأحزاب اليمين المتطرّف، والنازية الجديدة، والتيار اللائكي المتشدّد، وحركات المثليين، والمسلمين المرتدين، وبعض الحركات النسوية. أمّا بالنسبة إلى الشرائح التي تتعامل مع الإسلام بشكل عادي وموضوعي، فسوف تدرك عبر المتابعة الإعلامية أنّ تنظيم داعش لا يمثل المسلمين، وأنّه ضد الإسلام نفسه، ولعل هذا ما حصل في الكثير من الثقافات والأديان التي شهدت حركات داخلية مضادة، فالنصرانية خرجت من قمقم اليهودية، وقبل ذلك نشأت البوذية رَدَّ فعل على الهندوسية، بل إنّ أغلب التيّارات الفلسفية والأدبية كانت تنفي ما قبلها بشكل كلي أو جزئي. وما يعزز القراءة الثانية أيضًا أنّ العديد من السياسيين والمثقفين الغربيين وعوا هذه الحقيقة، فبرّأوا ساحة الإسلام مما يقترفه تنظيم داعش من جرائم ضد الإنسانية، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى موقف رئيسة الوزراء النرويجية إيرنا سولبيرغ، التي شاركت في مسيرة مناهضة لتنظيم داعش في العاصمة أوسلو، وألقت كلمة استشهدت فيها بالحديث النبوي المعروف "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"، كما خلصت إلى أنّ مشاركة عدد كبير من المسلمين في المسيرة تدل على أنّ تنظيم الدولة الإسلامية لا يمثل الإسلام.[29]

[29] "رئيسة وزراء النرويج تستشهد بحديث نبوي في خطاب ضد "داعش""، القدس العربي، 26 غشت 2014

من هذا المنطلق، إنّ الخوف القادم ليس من الإسلام، ولكن من الإسلام المضادّ الذي يشكّل خطرًا على الإسلام نفسه قبل أي طرف آخر، والغرب يدرك ذلك أيّما إدراك، بل ويلعب طورًا دور المراقب الذي ينتظر دومًا ما سوف تفضي إليه المعركة، وطورًا آخر دور الإطفائي الذي يتدخل لا للتخلّص من الحريق، وإنّما خوفا من أن تنتقل النار إلى حماه إذا ما توسعت رقعة الحريق! وهذا ما يسري على الموقف الغربي من الاعتداء الأخير على غزّة، حيث ظل يراقب ما يحصل دون أي تدخل مادي أو معنوي، لأنّ ذلك لم يشكل أيّ خطر على مجاله، في حين قرر بعد تربص وترصد أن يتدخل في العراق لكسر شوكة تنظيم داعش توجسًا من أن يمتد لهيب النار إلى بيته الداخلي، كما حدث مع القاعدة.

وقد أدى ما يعرف بالانفجار أو الانسياب المعرفي والمعلوماتي دورًا جوهريًّا في عولمة الخوف عبر المشاهد الدموية والصور المقرفة، فلم يعد هذا الخوف مقتصرًا على السياق الذي تدور فيه رحى المعركة، وإنّما انتقل إلى خارج ذلك، فشغل الوعي الإنساني في كل حيز من المعمورة، وما كان لهذا الخوف أن يتفشى قبل عقدين أو ثلاثة عقود بهذه الوتيرة السريعة، لأنّ الظروف لم تكن تسمح بتنقل رجال الإعلام والصحافة، والوسائل الإعلامية لم تكن تسعف على رفد المعلومة بشكل سريع وجيد، إذ كان الخبر يظل حبيس المجال الذي يحدث فيه، ولا ينتشر إلا بعد أن يكون قد فقد راهنيته وأصبح متقادمًا، فـ "ليس هناك أقدم من أخبار الأمس"، حسب المثل. أما اليوم فقد أصبح العالم مكشوفًا بالأقمار الاصطناعية التي تحوّل المعلومة والصورة إلى الشبكة العنكبوتية والقنوات الفضائية، فيشيع الخبر عبر أرجاء الكرة الأرضية بسرعة خارقة. ولعل هذه الثورة الرقمية ساهمت بقسط كبير في أن يحضر اليوم تنظيم داعش بكثافة في النقاش السياسي والفكري الحالي، لكن هل أعدّ المجتمع الدولي العُدّة للمرحلة القادمة التي سوف تشهد أفول داعش بوصفه تنظيمًا، غير أنّه سوف يستمر ظاهرةً متطرّفةً تؤدلج الدين وتعولم الخوف؟!

لائحة المصادر والمراجع:

- أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر. هاشم صالح، (بيروت: مركز الإنماء القومي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط2/ 1996)
- بن المبارك، عبد الله، مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تح. صبحي البدري السامرائي، (المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف الرياض، ط1407/1 هـ - 1987 م)، ر. ح. 33
- الترمذي، أبو عيسى، الشمائل المحمدية، تعليق وإشراف عزت عبيد الدعاس، (لبنان: دار الحديث بيروت، ط1408/3هـ - 1988 م)، ر. ح. 82
- الحلبي، أبو الطيب، "هل داعش من صنع النظام أم صنع الموساد!"، سوريا بريس حلب، 12 يناير 2014
- "حقيقة زواج داعشي من طفلة عمرها 7 سنوات"، موقع كندا بالعربي www.arabiccanada.com، 14 عشت 2014
- "خالد الزعفراني، ما حقيقة داعش؟"، مقابلة مع قناة البغدادية، في: عرب أونلاين، 14 يونيو 2014
- "«داعش» تتبنى تفجير الضاحية الجنوبية لبيروت"، الوسط البحرينية، ع 4138، الأحد 05 يناير 2014م الموافق 29 شوال 1435هـ
- "رئيسة وزراء النرويج تستشهد بحديث نبوي في خطاب ضد "داعش""، القدس العربي، 26 غشت 2014
- الشريمي، علي، "دعش.. يدعش.. دعشا"، الوطن أون لاين السعودية، 18 يناير 2014
- "عبد الباري عطوان: تنظيم داعش مدعوم من طرف بعض الأموال الخليجية"، مقابلة مع فرنسا 24، 14 يونيو 2014
- العبيدي، حازم، "برنامج صوت الناس"، قناة المحور 2، في: شبكة الإعلام العربية محيط، 13 يونيو 2014
- "العرعور يفجر حقيقة داعش.."، قناة شذا الحرية، في: مذكرة الإسلام، الإثنين 13 يناير 2014
- الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل،(بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1995)
- "الفوزان: سوريا وإيران صنعتا "داعش" لإجهاض الثورة"، العربية نت، الأحد 3 ربيع الأول 1435هـ /5 يناير 2014م
- "كلينتون: داعش ظهر بسبب الفشل في مساعدة ثوار سوريا"، العربية نت، الأحد 13 شوال 1435هـ/10 أغسطس 2014م
- "ما هو تنظيم "داعش"؟ مسيرته منذ الإنشقاق عن "القاعدة" وحتى إعلان "دولة الخلافة""، جريدة الحياة، الأربعاء، 11 يونيو/حزيران 2014
- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (لبنان: مكتبة لبنان، ط1984/2
- المطرفي، خالد، "حقيقة داعش"، العربية نت، الخميس 13 شعبان 1435هـ/12 يونيو 2014م
- "هذه حقيقة رجم "داعش "لفتاة سورية بسبب الفيس بوك"، قناة MBC الرقمية www.mbc.net، أبريل 2014
- 'French Report ISIL Leader Mossad Agent', in: www.veteranstoday.com, Monday, August 4th, 2014
- Ghifar Al., 'Periódico español: los países del Magreb son la base principal para el arranque de los terroristas a Siria e Irak', in: www.sana.sy, Madrid, 15/07/2014

- ‘Islamitisch paradijs’, in: www.vlaamsbelang.be, 12 maart 2014
- Koen Vidal, ‘Tweeduizend Europese jongeren strijden mee met ISIS. Kan Europa nu werk maken van een echt beleid tegen Syriëstrijders?’, in: www.demorgen.be, 16 juni 2014
- Lyden, John C, Film as religion, myths, morals, and rituals, (New York and London: New York University Press 2003)
- Moyaert, Marianne, ‘Ricoeurs talige gastvrijheid Een model voor de interreligieuze dialoog’, in: tijdschrift voor theologie, Nederland 48/200
- ‘27% van de jongeren in Frankrijk: ISIS is gaaf!’, Sjors Remmerswaal, in: http://rechtsactueel.com, 22 augustus 2014

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط، أكدال – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

الهاتف : 50 04 73 37 5 212+

الفاكس : 08 04 73 37 5 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com